http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1549) السنة السادسة -السبت (4) تموز 2009

فنانون أكراد في بينالى البندقية

صعوبة تحقيق الهوية القومية في العمل الفني الحديث

موسى الخميسي
البندقية

الدورة الجديدة للبينالى العالمي في مدينة البندقية، تعانق اشد مراحله خصوبة تأملية ورهافة أدائية، من قبل العديد من أجنحة الدول المشاركة وعددها ٧٧، وكذلك من قبل العديد من الفنانين والجماعات وحركات التحرر، والأقليات القومية، ومنها مجموعة الفنانين الأكراد الذين عرضوا اعمالهم في سرادق تاريخي عريق خاص تابع لبلدية المدينة يقع في قلب البندقية.

١٣ فناناً جاءوا من العراق وتركيا وإيران وسوريا، حاول كل منهم الارتفاع بذائقة المتفرج الى أسمى المدارج المعرفية بقضية شعبهم ضمن خصائص التعبيرية والتجريدية ،في اللوحة المسندية وأساليب التركيب (استلاسيون) والفيديو آرت . ويكشف هذا الخطاب الفني ، بعده الوجداني الوجودي الجدي ، وكأن مثل هذه المشاركة، عبارة عن مذكرات يومية تحاول الوصول الى ما يشبه الاعترافات او المذكرات اليومية للإنسان الذي يحمل قضية إنسانية في داخله، يحاول الدفاع عنها بتمجيدها. وبهذا أصبح للجانب الحسي في اعمال المشاركين ، بهذه الفعالية العالمية، وما يتبع ذلك من حضور للعاطفة والوجدان، قوى تنبيه ايجابية تمتلك صفات تسجيلية تنتمي الى التاريخ والفعل السياسي والإعلامي لاي قضية من قضايا الشعوب وفي كل بقاع العالم.

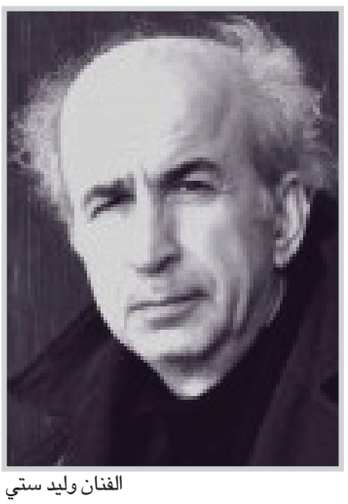
الفنان وليد ستي

على ضوء المصطلحات التحليلية في الفن التشكيلي، التي يمكن استعارتها من القاموس الغربي الثري، كونه مصدر التجارب الفنية بكل مدارسها وتقنياتها ومعارفها، يمكننا ان نستدل لبعض الخصائص القومية في الفن التشكيلي على جملة الرموز الفنية (الصورة، الكلمة، الصوت.. الخ) بما هي فيه من تمثيل لموضوعات عامة عند جماعة بشرية ما، ولكن لن تقابل عروبة او كردية او تركمانية الفن القومية، وفق ذلك، سوى خصائص ادواته، اي تلك التي تكوّن النظام الرمزي التقليدي المتعارف عليه داخل هذه او تلك من ثقافات الشعوب. ذلك ان الفن التشكيلي في البلدان التي يتواجد فيها عدد كبير من الفنانين الذين ينتمون لقوميات أخرى مثل العرب او الأكراد او التركمان.. الخ رغم أهمية العديد من الانجازات التشكيلية لهؤلاء، يظل في غالبية تجاربه وأكبرها مستلهما من الغرب.

ان الفهم الشكلاني للخاصة القومية للفن سرعان ما سيداوله النقد من جانبين، الأول وهو ضمني ويتعلق بقيمة ما هو خاص في الرموز التي يحملها والتي يعكس تحققها إشكالية ما من إشكاليات الماضي، إضافة الى واحدة من ممكنات حلها المتحققة والتي ستصبح بمثابة مواضيع عامة اكتسبت في الأقل من الناحية الشكلية، تماسكا نسبيا جعلها تبدو كما لو كانت أساساً لكل سيرورة لاحقة إبداعياً او تذوقيا على السواء.

اما الثاني،فان العمل الفني المنجز ونحن في طور الزمن ما بعد الصناعي والرقمي، وخصوصا ان الفنون الحديثة توفر هذا التجاوب بين الفن والتكنولوجيا، فان اي عمل منجز من هذه الزاوية يحمل مغزاه من خلال إعلان الفنان ذاته عن موضوع عمله وتوجهاته، والحال فان الفنانين الأكراد في هذه الفعالية والذين اختاروا تقنيات مختلفة وأساليب تركيبية ورقمية متعددة أعلنوا عن موضوعهم القومي بما قل ودل من مفردات بصرية متداولة عالميا، وراهنوا على صلتهم الصريحة بالسائد حاليا في الفنون العالمية، متحررين من كل منطق تراثي، وهذا امر يحق لكل فنان ان يوظف في عمله الفني كل ما يخدم مشروعه.

وقد ذهب اغلب هؤلاء الى ربط عملهم الفني بأدوات بنائية وتقنيات استنادا الى الرأي المتداول الذي مفاده ان كل الأفكار جرى قولها في السياسة والإعلام ولا يبقى أمام الفنان الا كيفية التعبير عنها في اطر مجبولة بإنسان اليوم وبعصب قضيته، ولهذا فان هذه الفعالية تصلح لان يطلق عليها أي فنان ما يشاء من شعارات لا تمس طبيعة العمل ومحتوياته، نحن أمام معرض خارج نقاط الإثارة الإعلامية السياسية على الرغم من محتوى بعض الاعمال التي يطل من خلالها نقاط الإثارة الى ظاهرة الهوية.

يقول الفنان العراقي الكردي آزاد ناناكلي"اختراق العلاقات التقليدية التي تبدو بعض الأحيان ساكنة، يتطلب مخاطبة الآخر بوسائله، من خلال بنى مختلفة ومتحررة، ولهذا فقد لجأت في عملي المشارك بعمل تركيبي ينتمي الى الفيديو آرت ووظفت إمكانات تقنية عالية المستوى من الكومبيوتر، فأصبح الشكل المرئي والفضاء متوحدين في التكوين، ليكونا وحدة مطلقة بين الشكل، والنص والفضاء".

اما الفنان بالدين(بهاء الدين) احمد وهو أيضاً من فناني العراق الأكراد فقد اتجه بعمله التركيبي الذي اعتمد على رسم لوحتين كبيرتين ووسطهما عمل نحتي تركيبي من الحجر ليكون بنية دلالية تخترق ما هو متوقع، من اجل توظيف الخيال لإزالة الحاجز من عالم الاثر التقليدي والذهاب نحو عالمية النص البصري وهو يحمل اعترافا بإنسانية قضية شعبه واغترابه في الوقت نفسه.

الفنان العراقي الكردي الثالث هو وليد سيتي(مصطفى)، استجاب كلية لشعار دورة البينالى الجديدة "بناء العوالم" فقام بتشكيل عمل تركيبي كبير وعلقه على الجدار ليعلن للآخرين من خلال عمله جوهر قضية انتمائه القومي، وهي تحمل طاقة إبداعية في الإثيات أمام متغيرات الزمن وديمومتها، محققا مؤثرات إدراكية تحول المتلقي الى فعل الكينونة الوجودية. وهو بهذا التوجه تمكن والى حد كبير من اختراق مذكرته البصرية هذه في إيقاظ الحواس البشرية.

الفلسطينيون الذين دعتهم أيضاً إدارة البينالى الى إقامة معرض لهم تحت عنوان"فلسطين بواسطة البندقية (فينسيا)" وهم كل من تيسير البطنيجي، شادي حبيب الله، ساندي هلال، اليساندرو بيتي، أملي جاسر، جواد المالحي وخليل رباح، فقد ركزوا على موضوعات تهتم بمظاهر التهميش عبر البيئة الجغرافية لمخيمات اللاجئين، مستخدمين وسائل وتجهيزات العروض المتعددة الوسائط المرتبطة بالتصوير الفوتوغرافي، اعمال الفيديو آرت، وكل الإيحاءات البصرية المباشرة.

مؤلف روايات (المافيا) يبحث عن الجمال وسط الجحيم..

ترجمة: عدوية الهلالي

سبق له ان اصدر رواية تحمل اسم (غومورا) حققت نجاحا ساحقا ومبيعات هائلة في ايطاليا عن عصابات المافيا، واليوم تصدر له رواية في فرنسا عن منشورات دار غاليمار تحمل عنوان (الجمال والجحيم) وتحقق أفضل مبيعات حتى الآن بعد نفاد اكثر من ثلاثة ملايين نسخة منها.

يتعرض الكاتب الايطالي روبيرتو سافيانو في روايته الجديدة لموضوع عصابات المافيا في مدينة نابولي وكان قد كتبه مابين عامي (٢٠٠٤ و٢٠٠٩) ونشره في دار مونـدادوري الايطالية قبل ان تتلقفه فرنسا ودول أوروبية أخرى.. ويعترف سافيانو بان الكتابة هي التي منحته القدرة على البقاء والاستمرار وان حق الإنسان في الوجود على هذه الأرض هو ما يدفعه الى الكتابة عن المافيا التي تغتال وجود الإنسان ببساطة شديدة ، لذا فهو يجسد الجمال في روايته عبر الأشخاص الذين تربوا ليقاوموا هذه الحيوانية والوحشية والإجرام ومنهم إمبراطورة الأغنية الإفريقية الراحلة (مريام ماكيبا) التي واجهت البشاعة ودافعت عن الإنسانية وقضت عمرها في المنفى وهي تناضل ضد التفرقة العنصرية.

اما الجحيم في نظره فهو ان يقضي الإنسان حياته خائفا فيغير الفندق الذي يسكن فيه والبنايات التي يدخلها يوميا ليتجنب ملاحقة العصابات له ، ويتجسد الجحيم أيضاً في حياة أفراد العصابات أنفسهم من الذين يمضون أوقاتهم مطاردين ويرافقهم الحراس الشخصيون في كل مكان.

ويعيش سافيانو الجحيم ذاته لخوفه من ملاحقة العصابات له وإحاطته في مهرجان كان بالعديد من رجال الحماية الفرنسيين وإحاطته برجال حماية اسبان لدى زيارته الى برشلونه، وسبب ذلك هو احتواء روايته الأخيرة (الجمال والجحيم) على أسرار وأدلة راسخة جدا وأحداث واقعية وملموسة رغم تغليفه لها بالكثير من المفردات الأدبية والحذلقة الروائية.

في روايته (غومورا) نجد الصبي المراهق (توتو) والملاكم الموشى بالوشم (تاتانكا) والمرأة الضعيفة (فيليشا) المرغمة على رؤية قاتل ابنها كل يوم لأنه يسكن بمواجهة منزلها من دون ان تجرؤ على مواجهته بشيء.. أما في الرواية الجديدة فيشير سافيانو الى تواطؤ العصابات النابولية مع عصابات المافيا الروسية والتركية، ولهذا السبب تسرب الكتاب الى جميع الأسواق الايطالية ثم الفرنسية لأن المافيا كما يقول سافيانو تزدهر في كل مكان ويلغى معها مفهوم الدولة والحكومة لأنها تنتمي الى الحكومة أحياناً!

ويستشهد سافيانوفي مقدمة كتابه بمقولة البير كامو الذي يرى ان الجحيم ليس الا زمنا معاشا بشكل مؤقت وان الحياة لابد من ان تأتي بجديد دائماً.

روبيرتو سافيانو

ملاحظات..

باسم عبد الحميد حمودي

١- مايكل جاكسون- كولن ولسون

منذ أيام كنت واحد الزملاء نستذكر معا تلك الايام الخوالي، أيام اللامنتمي وضياع في سوهو وكتب كولن ولسن الأخرى، ونحن نشعر ان هذا المفكر قال كل ما عنده ثم ضعف تأثيره على الاجيال اللاحقة بفعل ظهور أسماء وتيارات جديدة وكشوفات تتعارض وأفكاره التجريبية الحرة.. استمر الحوار هكذا لفترة، وانتقل – من دون تخطيط مسبق – للحديث عن رواية (عبدة الصفر) لألن نادو ورواية (في بلاد العميان) لويلز ومجموعة من روايات الفكر الجيدة البناء.

كان احد الزملاء يستمع الينا بدون صبر نلحظه ونحن نستغرق في النقاش، حتى ضجر تماما وصاح: يا جماعة البارحة توفى مايكل جاكسون وحزن الناس في كل أرض وانتما تتحدثان عن بشر لا نعرفهم او لا يهتم بهم أحد.

كان صاحبي يتمتع بلون من اللؤم والسخرية المبطنة فقال لزميلنا بهدوء: (من هو مايكل جاكسون يا أستاذ؟) وصار وجه زميلنا يعطي ألوانا وهو يقول: (أساتذة عيب جاكسون هذا اشهر مبتدعي البريك دانس واغاني الراب، بل هو اشهر مغني العصر).

استمر عاشق المرحوم مايكل جاكسون يتحدث عن انجازات صاحبه الذي انتقل حديثا الى الدار الباقية، وقد أصيب بمرض غير مألوف – هكذا قالوا – صرعه بسرعة بعد اصابته بامراض اخرى يعرفها عشاقه ومحبوه.. المهم ان الحوار استمر بيننا بين مدافع عن ذلك المغني الحسي الذي غرف من الدنيا سريعا وبشكل نهم افقده الكثير من المعايير العامة، وبين مشيد بانجازات عباقرة الفكر الحديث على اختلاف اتجاهاتهم وأدائهم الفكري دراميا وفلسفيا.

كولن ولسون

وجدت نفسي في نهاية الحوار اقرب الى هؤلاء الذين اعطوا للفكر الإنساني المزيد من مهابته، وان الاستبداد الشخصاني الذي قدمه جاكسون خلال حياته القصيرة لن يهم احدا.. بعد سنوات قليلة، وسينساه الناس كما تناسوا الايطالي كاروزو وسواه، فيما يظل شراع ولسون ونادو واج جي ويلز وأمثالهم عالياً.

وسيفسر البعض كلامي هذا اني ضد الغناء والمغنين وهم لا يعرفون ان الصوت الجميل هبة من الباري لعباده، وان الآف الأصوات الجميلة قد خدمت البشر واطربتهم على مدى العصور.

٢- يوسف إدريس والتكرلي

من يذكر يوسف إدريس بعد رحيله بأعوام؟ لقد كان هذا الطبيب الذي ترك الطب – مثل جيكوف – متفرغاً لكتابة القصة القصيرة والصحافة وقضاء سنوات سجن عديدة واحدا من أبرز الكتّاب الذين انتقلوا بالقصة القصيرة من لغة الإنشاء والتطويل والبناء الخارجي للشخصية الى بناء القصة بناء فنيا يدخل العمق الإنساني ويكشف تفاصيله عبر المونولوغ الداخلي والإحساس العالي بنبض الشخصية المقدمة دون لواحق وإضافات تؤذي الحركة الدرامية للقصة، فكانت شخصيات العسكري الأسود ومدرب الأسود وفتحية وسواهم شخصيات لا تنسى في تاريخ القصة المصرية الحديثة، وهو أمر يحسب في العراق قبل اكثر من خمسين عاما للقاص الرائد فؤاد التكرلي وزملائه: عبد الملك نوري – محمد روزنامجي – نزار سليم، حيث قام هؤلاء ببناء تجربة القصة القصيرة في العراق، وفق صياغات إشكالية تدرس النماذج المعدة للاظهار المدون، حيث تأخذ الشخصية بنيتها التشريحية الفنية التي يستطيع القاص إظهارها للقراء مرسومة بمهارة حريصة على الكشف، فليس من احد ينسى بطلة العاملة والجرذي والربيع لنوري ولا أبطال التكرلي في (الوجه الآخر) ولا دجاجة المسعدة لنزار سليم وسائر شخصياته الشعبية في (فيض) ولا (ترنيمة أبو الشلغم) في مجموعته (رغم كل شيئ)، لقد صنع هؤلاء مجد القصة العراقية القصيرة، مثلما فعل إدريس وزملاؤه في مصر.

السؤال هنا: من يذكر هؤلاء في العراق اليوم؟

فؤاد التكرلي

٣- الطارئون

تشكل تجربة الطارئين في العمل الثقافي ظاهرة غير مسبوقة اليوم، وكان الناس قد اعتادوا سابقا أن يجدوا سكرتير المدير العام لأي مرفق صحفي او ثقافي يحاول كتابة القصيدة او التحقيق قصد الظهور والكسب المادي، وقد يجد هؤلاء من يساعدهم في الصياغة وهم يتندرون، وقد كان هؤلاء وإضرابهم نماذج قليلة تستحق العطف او الزراية، لكن أعداد هؤلاء الطارئين على الثقافة ازدادت بشكل مخيف وقد حصلوا زورا على ألقاب الشاعر والقاص والناقد وهم يكررون استخدامها دون منجز حقيقي لكنهم هم الذين يملئون الآماسي والمنتديات ويقيمون احتفالات التكريم لبعضهم البعض على نحو غريب.. ومستمر.. وكأنهم صدقوا أنفسهم وان تاريخ الأدب والنقد الأدبي سيذكرهم بخير بعد عمر طويل، لكن الحقيقة واضحة والقارئ يعرف من هو المبدع ومن هو المزيف والطارئ على الإبداع.

تلويحة المدى

ألسنا جزءاً من الثقافة العربية التي نهجوها؟

شاكر لعيبي

عوّدَ القليل من الكتاب أنفسهم الانطلاق من وقائع ثقافية محددة ملموسة (مقالات، ظواهر، أسماء بعينها) من أجل الوصول إلى استنتاجات عامة ممكنة، رغم المخاطر التي تشوب عملية الاستشهاد هذه، وما قد تجر على الكاتب من تأويلات أو ضغائن. هذه الانطلاقة الخطرة العواقب تملك، إذا امتلكت نية حسنة، تواضع الانحناء على التفاصيل التي يأنف منها البعض من جهة، ولا تزعم من جهة أخرى اكتفاءها بالكلي المطلق، هذا التجريدي الجدير وحده، وفق ما لا يُقال عادة، بالمثقف الشامل.

سنقول فرضية وسنستشهد من أجل تعزيزها بمقالتين متأخرتين.

الفرضية: ثمة نقد معمّم من الأجيال كلها يتفق، بشكل شبه تام، على وجود انحدار دراميّ في الثقافة العربية. غالبية الكتابات التي نطالعها اليوم تصم ثقافة العرب الحالية، من دون أن تستثني أحدا تقريبا، بالتدهور الفاحش سواء على المستوى المفاهيمي أو الممارساتي أو النصي (الشعري خاصة).

استشهادان للتدليل على الفرضية: يذكر الكاتب التونسي د. الطاهر لبيب أن المثقف العربي «مقاول» مُباع (مقالته "المواطن العربي بين الثقافة السريعة والفكر البطيء" مجلة: منتدى الفكر عدد ٢٣٦). هذه الفكرة مقالة هنا صراحاً وبقوة، ويتردد ما يماثلها أو يتماس معها في نقد المثقفين لدى المفكر السوري بوعلي ياسين والكاتب الأردني خيري منصور، وتقال بشكل أشد وبطريقة بارعة لدى أدونيس في نقد الثقافة العربية والعرب طراً. وكتنويع على الفكرة عينها يمكن قراءة العشرات من المقالات والتعليقات اليومية التي تهجو المثقف والثقافة العربية، وهنا الاستشهاد الثاني وهو للسعودي د. عبد الله بن أحمد الفيفي الذي يذهب إلى أنّ: "كثيرًا ما يتساوَى العامّيّ فينا والمتعلّم، منطقًا وسلوكًا ومواقف. بل ستجد العامّيّ – في الغالب – أكثر عقلانيّة، وتسامحًا، وشهامة، وأمانة، وعدلاً، ووفاء؛ لأن فطرته لم يلوّثها تعليمٌ فاسد، وأصله النبيل لم يعكّره شحنٌ معرفيّ، موتورًا، يتلوّى بقُرحة فكريّة، أو سياسيّة، أو مذهبيّة" (صحيفة "الجزيرة"، ١٨ يونيو ٢٠٠٩م، العدد٢٨٨).

الاستشهادان كلاهما مأخوذان فقط لصراحتهما التي لا تبدو بالوضوح التام في كتابات أخرى، سوى كتابات أدونيس.

على المستوى النصي، الشعري خاصة، تصل فكرة التدهور الشامل إلى أقصاها، ومن دون استثناء، كما نتأكد في مقالة منشورة على النيت للشاعر باسم الأنصار الذي نحتفظ له بأكبر المودة، فهو يذهب انطلاقاً من الهاجس عينه إلى التالي: "فعلى الشاعر الآن أن يعلن بأن ما يكتب الآن من شعر في غالبه الأعم مكرر من حيث النحو والبلاغة، ومكرر بشكل مقرف أيضاً من حيث بنية القصيدة وشكلها. عليه أن يعلن بأنّ الكثير من المفاهيم المتمحورة حول بناء القصيدة الحالي مازال مشوهاً في عقول الكثير من شعراء الأجيال الشعرية العراقية والعربية على حد سواء. عليه أن يعلن بأن شعرية اللغة مثلاً لا تكمن في استخدام الكلمة القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب، وانما شعريتها تكمن في البناء الجديد للجملة وفي الخلطة العجيبة التي تجمع الكلمات سواء كانت بسيطة أو تافهة (هذا اذا كانت هناك كلمات تافهة)، عليه أن يعي بأن بلاغة النص الشعري الجديد لا تقوم على البلاغة اللغوية المعروفة، بل إنها تقوم على بلاغة المعنى والدلالة"، إن صيغة الإلزام عليه أن يعي" ذات دلالة لن تفوت على الكاتب المعنيّ.

وإذا أردنا التفتيش عن أمثلة أخرى أكثر أو أقل تطرفاً فلسوف نجد بوفرة وافرة. لقد صار هجاء العرب لأنفسهم وثقافتهم وشعرهم ظاهرة عريضة حيث لا نلتقي شخصياً بمثقف أو شاعر إلا وردّد أمامنا العبارات نفسها، ولا نتصفح جريدة إلا وقرأنا تنويعات على الفكرة عينها، هناك آلاف المثقفين العرب، ونحن منهم، ممن يجد كل مرة مناسبة ما لنقد شديد مماثل.

والسؤال المطروح هو التالي: أليست هذه الآلاف المؤلفة من الهجائين جزءاً من الثقافة العربية؟.. ولماذا لا تشكل هي نفسها، بحجمها وثقلها العددي هذا، ظاهرة مناهضة للتدهور الفادح؟ وإذا ما اعتقدت هذه الجموع الكريمة الملتاعة من النقاد والصحفيين والشعراء أنها تشير إلى ظواهر محسوسة طافية إلى السطح، فلماذا لا تسمّيها بالاسم، وتخوض معها معركة ثقافية رفيعة المستوى لعلها تنقذنا من عذاب التعميم هذا؟ أما إذا اعتقدت بوجود تيار معاكس مشرق، فلماذا إذن تتجاهله، أو في الأقل تضعه من حيث تدري أو لا تدري في سلة واحدة مع الرداءة المهجوّة؟

سنظل إلى حين ننتظر تفسيرا مقبولا ليس من طينة التبرير.